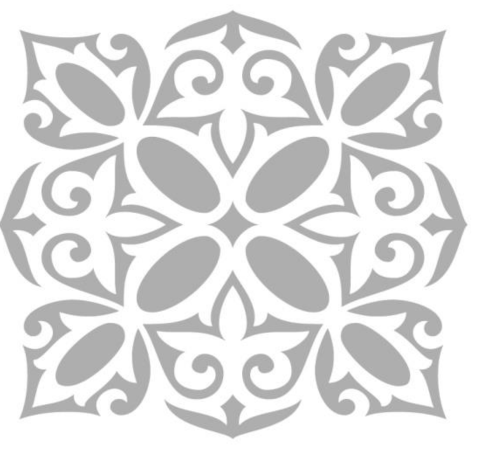


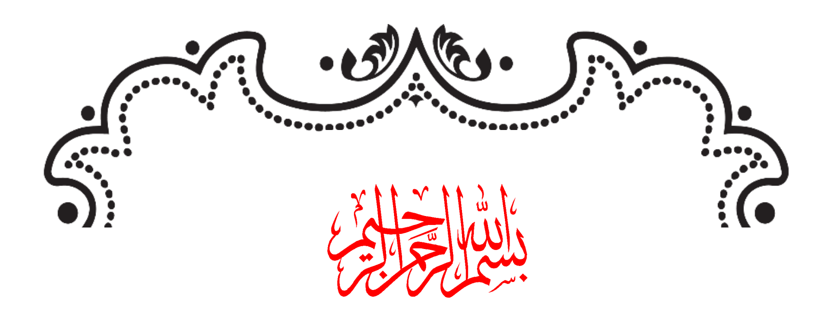





جمع وإعداد

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ الحجر [٨٥]



الحمد لله العَفُوِّ الغَفُورِ، يتوب على من استغفر وتاب، نحمده اسمائه الحسنى التي بلغت غاية الحسن والكمال، ونشهد أن لا إله إلا الله الذي أمرنا بمكارم الأخلاق، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله كامل الأخلاق، جعل الله القرآن خلقه وهداه، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

بُعث الرسول إلا ليتمم مكارمَ أخلاقِنا، ويُبعدُنا عن أراذلها، ولقد أصَّلَ الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أمته أنَّ من سمات المؤمن أن يكون هيناً ليّناً لا غِلَّ فيه، ولا بغي ولا حسد، يُؤْثِرُ حقَّ الآخرين على حقه، فالحياة أرخص من أن تُملأ بالعداوات والبغضاء والأحقاد؛ فيعيشُ المسلمُ سليمَ القلبِ، مرتاحَ البالِ، قويَّ الإيمان، مطيعاً لربه، مجانباً لهواه وشيطانه.

إنَّ الاختلاط بالناس يكشف معادنَ أخلاقِنا، ولقد جُبِلَ كثيرٌ من الناس على محبةِ أنفسهم والانتصار لها، فكان لا بد أن تنشأ خلافاتٌ بينهم، في كل ميادين الحياة، في طرقاتهم وأسواقهم، وأماكن عملهم، حتى في اجتماعاتهم العائلية، بل في أماكن عباداتهم ومناسكهم، والمشكلة أن الخلافات قد تتطور إلى قطيعة وتهاجر وخصام، ويحصل تباعدٌ وتنافرٌ ما أنزل الله به من سلطان، تتعقد بسببه الحياة، وتُشحَنُ القلوب، حتى أصبح المسلم لا يطيق رؤية أخيه، إذا لمحه في طريق سلك غيره، وإن جمعه مجلس خرج منه مسرعاً، بل قد يكونان من جماعة مسجد واحد ويتهاجران، وتذهب الأيام، والأعمال لا ترفع كما أخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تُفْتَحُ**

أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[1]، فاللهم لا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، واصلح بين المتهاجرين والمتقاطعين والمتخاصمين وألف بين قلوبهم.

إنَّ من أسرع الأمور في إطفاء نار الخلافات والعداوات؛ عبادة العفو والصفح عليها، ومعالجتها بالتسامح؛ لتصفى القلوب.

ولقد جاءت نصوصٌ تأمر بحسن المعاملة، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، والحث على الدفع بالتي هي أحسن، والترغيب في الصفح عن الأذى، والعفو عن الإساءة، والاتصاف بالحلم، وترك الغضب، والترفع عن الانتصار للنفس، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠]. وبالعفو والصفح أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]. وبالعفو والصفح أمر الله المؤمنين، وجعل نتيجته مغفرة ذنوبهم ورحمته إياهم، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ في وصف المهيئين لجنة عرضها السماوات والأرض: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٥).

أولاً: ﴿ معنى العفو والصفح لغةً واصطلاحاً ﴾

١. معنى العفو لغة واصطلاحاً:

أ. معنى العفو لغة:

والعَفُوُّ من العَفْوِ؛ وهو التَّجاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العِقابِ عليه(١).

وَكُلُّ مَنِ اسْتَحَقَّ عُقُوبَةً فَتَرَكْتَهُ فَقَدْ عَفَوْتَ عَنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ أَنْ يَعْفُوَ الْإِنْسَانُ عَنِ الشَّيْءِ بِمَعْنَى التَّرْكِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَنِ اسْتِحْقَاقٍ(٢).

ب. معنى العفو اصطلاحاً:

العفو اصطلاحاً: العَفْو هُوَ التَّجاوزُ عَنِ الذَّنْب، وتركُ العِقَاب عَلَيْهِ، وأصلُه المحْوُ والطَّمْسُ(٣).

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العَفْوُ: هو التّجافي عن الذّنب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾، ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾، ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ ﴾، ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴾، ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾"(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٧٢/١٥).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٧/٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٥/٣).

(٤) المفردات في غريب القرآن (صـ٥٧٤).

ثانياً: ﴿ العَفْو صفة من صفات الله عز وجل ﴾

العفو صفةٌ فعليَّةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، ثابتةٌ له بالكتاب والسنة، ومعناها الصفح عن الذنوب، و(العَفُوُّ) اسم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٤٣]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣].

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ في حديث الدعاء على الجنازة: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ...**»[١].

وفي حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ...**»[٢]، ولا يستعاذ إلا بالله أو بصفة من صفاته.

فهذه الآيات والأحاديث فيها إثبات صفة العفو لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]:

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَى ... لَوْلاَهُ غَارَ الأَرْض بِالسُّكَّانِ

وقال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: "**العفو، الغفور، الغفار: الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها**"[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٩٦٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٦).

(٣) الكافية الشافية (صـ٢٠٧).

(٤) تفسير السعدي (صـ٩٤٦).

ثالثاً: ﴿ الحث على العفو والصفح من القرآن والسنة ﴾

أ. الحث على العفو والصفح من القرآن الكريم:

وردت آيات كثيرة في ذكر العفو والصفح والترغيب فيه، ومن هذه الآيات:

- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الصدِّيق، حِينَ حَلَفَ أَلَّا يَنْفَعَ مِسْطَح بْنَ أُثَاثَةَ بِنَافِعَةٍ بَعْدَمَا قَالَ فِي عَائِشَةَ مَا قَالَ...فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ براءةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَطَابَتِ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةُ وَاسْتَقَرَّتْ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مَن كَانَ تَكَلَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَأُقِيمَ الْحَدُّ عَلَى مَن أُقِيمَ عَلَيْهِ- شَرَع تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ، يعطفُ الصدّيق عَلَى قَرِيبِهِ وَنَسِيبِهِ، وَهُوَ مِسْطَح بْنُ أُثَاثَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ ابْنَ خَالَةِ الصِّدِيقِ، وَكَانَ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ إِلَّا مَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مَعْرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ، لَهُ الْفَضْلُ وَالْأَيَادِي عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَجَانِبِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **أَيْ: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمُذْنِبِ إِلَيْكَ نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ نَصْفَحُ عَنْكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الصِّدِّيقُ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ -يَا رَبَّنَا- أَنْ تَغْفِرَ لَنَا. ثُمَّ رَجَع إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنَ النَّفَقَةِ"**[(١)].

- وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٩/٦).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي: **إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم –وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل–، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم،** ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ **يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى:** ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾"(١).

● وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **مَنْ تَرَكَ الْقِصَاصَ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظَّالِمِ بِالْعَفْوِ** ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ **أَيْ: إِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُهُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ مُقَاتِلٌ: فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ"**(٢).

● وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: **"هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد**

---

(١) تفسير السعدي (صـ١٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٤٠).

لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره"[١].

● وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: "**أَيْ: سَجِيَّتُهُمْ وَخَلْقُهُمْ وَطَبْعُهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ، لَيْسَ سَجِيَّتُهُمُ الِانْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ**"[٢].

ب. الحث على العفو والصفح من السنة النبوية:

▪ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[٣].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وقوله: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»: فيه –أيضًا– وجهان: أحدهما: ظاهره أن من عرف بالصفح والعفو ساد وعظم فى القلوب وزاد عزه. الثاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزته هناك**"[٤].

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢١٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٨).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٥٩).

■ عَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا**»(١).

■ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ**»(٢).

قال المناوي رَحِمَهُٱللَّهُ في قوله: «**وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ**»: "**لأنه** سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **يحب أسمائه وصفاته التي منها الرحمة والعفو، ويحب من خلقه من تخلق بها**"(٣).

■ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: «**اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٤).

■ وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خَادِمًا يُسِيءُ وَيَظْلِمُ أَفَأَضْرِبُهُ؟ قَالَ: «**تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٥).

قال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، لا يظن ظان أنه أفضل من خدمه، ما جاؤوا إليك إلا للحاجة، وما تركوا الأبناء ولا الأهل والوالدين إلا للحاجة، وما تركوا أوطانهم إلا لطلب الرزق، ومن الممكن أن تنعكس الأمور فيصبح الخادم سيّداً، والسيّد خادماً، ومن يدري؟

---

(١) رواه أحمد (١/١٩٣) برقم (١٦٧٤)، والبزار (٣/٢٤٤)، وأبو يعلى (٢/١٥٩)، وصححه الشوكاني في نيل الأوطار (٧/١٧٧)، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٤٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢/٢١٩) برقم (٧٠٤١)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٣٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣/٦٥١). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٨٩٧).

(٣) فيض القدير للمناوي (١/٤٧٤).

(٤) رواه أبو داود في سننه برقم (٥١٦٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٨٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/١٥٢) برقم (٥٦٣٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه بالإحسان إلى الخدم، والعفو عنهم، وعدم الإساءة إليهم، وألا يكلفوهم فوق طاقتهم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[١].

فهذا الحديث العظيم قد أصَّل العلاقة بين الخادم والمخدوم، ففيه الحثُّ على الشفقة بالخادم ومعاملته كالأخ (**أَخُوهُ**)، ومعلوم عند الجميع كيف تكون معاملة الإخوان، وليس كالخادم الفقير والعائل المحروم، ويكون هذا بإعطائهم من طيب الطعام، وتوفير ما يحتاجون إليه من الحاجات، والصبر عليهم، ومعاملتهم بالحسنى.

وعن أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**خَدَمْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ**"[٢].

فهم بشر يصيبون ويخطؤون، غير معصومين عن الخطأ، فيتجاوز عن زلاتهم وتعليمهم الصواب بالحسنى، والبعد عن قهرهم بالكلام وغيره، فالبعض -أعاذنا الله- يعطي لنفسه الحق بإهانتهم أو أذيتهم أو غيبتهم، أو النظر إليه بنظرة دونية، وكأن ليس لهم حقوق!

الله عَزَّ وَجَلَّ يحثنا على العفو الصفح، كل إنسان لا بد أن يذنب ويخطئ، ومع هذا فهو يحب أن يَغفِرَ له، كذلك أنت لا بد أن يتسع صدرك، وتعفو عمن أساء إليك، فالعفو شعار الصالحين الأنقياء أصحاب النفس الرضيَّة.

أتدرون ما أكبر عائق للعفو؟ إنه اعتقادنا أن العفو عنوان للضعف والمذلة والهوان، وأنه لا يتنازل عن حقه إلا العاجز الضعيف، فلقد ترسب في أذهان كثير منا أنه إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، وأنَّ من الواجب أن ترد الصاع بصاعين، أو كما نسمع كرامتي لا تسمح.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٦١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٣٨).

والحقُّ أن قمةَ الشجاعةِ تَكمُنُ في العفو عند المقدرة، وقد مرَّ معنا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»(١).

فكم رأينا من عداوات وخصومات بين الأزواج، وبين الإخوان، وبين الأقارب والجيران، حتى وصل الأمر إلى القطيعة بينهم بسبب أمراض غشت قلوبهم.

فأين تقوى الله؟ أين هؤلاء من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا، أَوِ ارْكُوا، هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا**»(٢)، فليتقِ الله المتهاجرون والمتقاطعون، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النساء:١٠٠].

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ **الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم**(٣).

نعم يجوز أن يأخذ المظلوم حقه من الظالم إذا كان لا يريد أن يعفو عنه، ويجوز أن يدعو على من ظلمه، خاصة إذا لم يجد وسيلة لرفع الظلم عنه إلا بالدعاء، لكن بشرط أن تكون على قدر مظلمته، ولا يتعدى بالدعاء فيدعو على أولاده وعلى زوجته وعلى عائلته، ويدعو على أولاده بأن يصيبهم الله بأشد أنواع الأمراض، هؤلاء لا شأن لهم بالظلم الذي وقع عليه، فلا يجوز أن يدعو على الظالم بأكثر مما يستحق.

والعفو والصفح أفضل وأعظم أجراً لمن خلص قلبه من حظوظ النفس، قيل لأبي الدرداء: من أعز الناس؟ فقال: "**الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزكم الله تعالى**"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٨).
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٥).
(٣) تفسير السعدي (صـ٧٦٠).
(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/٥٨).

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: "**لَوْ أَنَّ رَجُلًا شَتَمَنِي فِي أُذُنِي هَذِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيَّ فِي أُذُنِي الْأُخْرَى لَقَبِلْتُ عُذْرَهُ**"(١).

فالعفو من أفضل أخلاق المسلم كما قال الْحَسَنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْعَفْوُ**"(٢).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/٣٠٢).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/٧١).

رابعاً: ﴿ أقوال السلف والعلماء في العفو والصفح ﴾

○ وقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ لِعَبْدِالْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فِي أُسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ: **"إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاك مَا تُحِبُّ مِنْ الظَّفَرِ فَأَعْطِ اللَّهَ مَا يُحِبُّ مِنْ الْعَفْوِ"**(١).

○ وعن عمر بْن عَبْدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **"أحب الأمور إلى اللَّه ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق اللَّه به يوم القيامة"**(٢).

○ وعن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **"مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّاو اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْفَى عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ حَدًّا"**(٣).

○ وقال الفضيل بنُ عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمِل قلبي العفوَ، ولكن أنتصر كما أمرَني الله عزّ وجلّ فقل له: إن كنتَ تحسِن أن تنتَصِر، وإلاّ فارجع إلى بابِ العفو؛ فإنّه باب واسع، فإنه من عفَا وأصلحَ فأجره على الله، وصاحِبُ العفو ينام علَى فراشه باللّيل، وصاحب الانتصار يقلِّب الأمور؛ لأنّ الفُتُوَّة هي العفوُ عن الإخوان"**(٤).

○ وعن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **"لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم"**(٥).

فعلى المسلمين أن يعفوا فيما بينهم، ويتجاوزوا عمن أساء لهم، وأن يخرجوا من ضيق المناقشة والعتاب إلى فسحة المسامحة، وعليهم أن يقبلوا المعذرة، فإنَّ قَبولها من محاسن الأخلاق، وتأملوا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

---

(١) أدب الدنيا والدين (صـ٢٦٠).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (صـ١٦٧).

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢/٤٦) برقم (١٨٢٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١١٢).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (صـ١٦٧).

(نماذج من عفوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ونماذج من عفو بعض صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ):

خامساً: ﴿ نماذج من عفوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ﴾

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد بلغ القمة والدرجة العالية في العفو والصفح، بل شمل عفوه الأعداء.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم أو تعنيفهم أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم كأنما لم يلقَ منهم شيئاً.

فكان يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقروناً بغضب أو كبر أو تذمر من المواقف المؤلمة، وكان كما أدبه الله جَلَّ جَلَالُهُ، بقوله: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر:٨٥-٨٦]، ثم كان يقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويعرض قائلاً: سلام، عملاً بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم أنزل عليه قوله: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٩].

ولقي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من يهود المدينة أنواعاً من الخيانة، فأنزل الله عليه قوله: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣]، فصبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عليهم، وعفا وصفح، حتى جاء الأمر بإجلائهم، ومعاقبة ناقضي العهد منهم.

- عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**كَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ **الآيَةَ، وَقَالَ اللَّهُ:** ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ

بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ **إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ..**"[1].

- وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الجَدَلِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: "**لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**"[2].

- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[3].

- وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، -ثَلَاثًا-**» وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ[4].

❖ موقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل ثقيف:

حينما طلب منهم الحماية وعرض عليهم نفسه فلم يجيبوه، بل قابلوه بالأذى والعدوان، فصبر عليهم وعفا عنهم حينما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، فعن عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٦٦).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٠١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٥٨٢٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٢٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٩١٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[١].

❖ موقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل مكة:

لَمَّا فَتَحَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ، فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، مَاذَا تَقُولُونَ وَمَاذَا تَظُنُّونَ؟**» قَالُوا: نَقُولُ خَيْرًا وَنَظُنُّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَرْتَ فَأَسْجِحْ، قال: «**فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾»[٢].

❖ موقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع عكرمة بن أبي جهل:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ: لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ آمِنٌ»، فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْتَ عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ، وَأَوْفَى النَّاسِ، قَالَ عِكْرِمَةُ: أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمُطَأْطِئٌ رَأْسِي

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٩٥).

(٢) رواه الأزرقي في أخبار مكة (١٢١/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣/٧٣).

اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ أُرِيدُ فِيهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أَنْ يُصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِخَيْرِ مَا تَعْلَمُ فَأُعَلِّمُهُ، قَالَ: «**قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ**»، ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا قَاتَلْتُ قِتَالًا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ أَجْنَادِينَ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٧٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/٦٦).

سادساً: ﴿ نماذج من عفو الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

أ. عفو أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- عفوه عن مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ: كان مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ ممن تكلم في الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ-: **"وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ"**، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: **"بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي"**، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ[١].

يعفو عمَّن؟ عمَّن خاض في عرض ابنته، يعفو عنه بعد أن تاب إلى الله، بل ويرجع من جديد بالذي كان يتصدق عليه، يا له من عفو! فماذا نقول لأنفسنا ونحن لا نسامح في الشيء اليسير من الأذى الذي لا يكاد يُذكر.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ رَجُلٌ يَشْتِمُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ ذَلِكَ رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَنْ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ قَعَدَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ مَظْلِمَةً فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَعَزَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نَصْرَهُ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٦٦١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/٤٣٦) برقم (٩٦٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٤٠٠) برقم (٢١٠٩٦)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٢٧١).

فالمقصود من الحديث :أن الإنسان إذا ظلم فأمسك نفسه فلينتظر النصر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والنصر يأتي لأصحاب العزيمة العظيمة القوية الذين لهم الثواب الكبير عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك فالمسلم دائماً يطلب الأشياء العالية، فإذا أراد الفردوس الأعلى من الجنة فلا بد من الصبر والتحمل للخلق وطلب مرضاة الخالق جَلَّجَلَالُهُ، ليصل العبد إلى رحمة الله ورضوانه.

ب. عفو عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

– عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، **وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ**[1].

عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ غضب من كلام عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وأراد أن يعاقبه، فما كان مِنَ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ إلا أن ذكره بقول الله: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾، أي: اقبلْ ما تيسَّرَ من أخلاقِ النَّاسِ، وما سَمَحت به أنفُسُهم، ولا تُغلِظْ عليهم، فإن وجدتَ منهم خُلُقًا طَيِّبًا فاقبَلْه، وما جاءك من غيرِ ذلك فاصفح عنه وتجاوزه، واترك ما لك من الحقِّ عليهم، وأعرِضْ عمَّن جَهِلَ عليك، فإذا سَفِهَ عليك، وأساءَ إليك، فلا تؤاخِذْه بزَلَّتِه.

فَامتثلَ عُمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لِكتابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولم يُجاوِزْ حُدودَه، ولم يُعاقبِ الرَّجلَ، وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقَّافًا عندَ كِتابِ اللهِ وحُدودِه، فإذا سمع آياتِه التزم أحكامَه ووقف عندها ولم يتعَدَّها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٤٢).

سابعاً: ﴿من فوائد العفو والصفح﴾

١. العفو والصفح سبب للتقوى، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧].

٢. العفو والصفح من صفات المتقين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

٣. بالعفو تنال العزة، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»[1].

٤. في العفو توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن والانفصام بسبب إساءة بعضهم إلى بعض، وجناية بعضهم على بعض.

٥. العفو والصفح عن الآخرين سبب لنيل مرضاة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

٦. من يعفو ويصفح عن الناس يشعر بالراحة النفسية.

٧. العفو والصفح سبيل إلى الألفة والمودة بين أفراد المجتمع.

٨. في العفو والصفح الطمأنينة، والسكينة.

٩. بالعفو تكتسب الرفعة والمحبة عند الله وعند الناس.

وغيرها من الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع بالعمل بهذا الخلق النبيل.

والله إنه لا عافية ولا راحة ولا سعادة إلا بسلامة القلب والسلامة من الغلِّ والحقد، ومن امتلأ قلبه بذلك تكدر عيشه، فالعفو والصفح سبيل إلى الحياة السعيدة وراحة البال.

فيا من تخاصمت مع أخيك، أو مع أختك، أو مع جارك، أو مع شريكك، راعي حق القرابة والرَّحم والجوار والدِّين، وتجنب المنازعة والقطيعة، وبادر إلى الصفح والعفو والمسامحة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٨).

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ   أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ   لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ   كَأَنَّهُ قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ   فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

وقال أبو الفتح البستي:

خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بعُرْفٍ كما   أُمِرْتَ وأَعرِضْ عنِ الجاهِلينْ

ومما يعينكِ على أن تصفحي عمن أساء إليكِ، وأن تعذري من أخطأ بحقكِ، وأن تقيلي عثرة العاثر:

١- تذكري أن نفسكِ تحب من يقبل عذركِ ويصفح عن خطئكِ، فعاملي الناس بما تحبي أن يعاملوكِ.

٢- تذكري بأنّ الإنسان ضعيفٌ وغيرُ كامل، فراعي ضعفَه ونقصَه، واقبلي معذرتَه، واصفحي عن زلته، فالكمال لله وما منَّا إلا وله زلاته وعيوبه ونقص في بعض الجوانب.

٣- اشغلي وقتك بالنافعات، فالذي يشغل وقته بالخير لن يجد متسعاً لسفاسف الأمور، ولا يجد وقتا للمنازعات أو الاهتمام بالتفاهات، فيعفو ويصفح لأنها من النافعات الباقيات ومن أبواب الخير الذي يرجو أن يقل به من موازين حسناته يوم توزن الأعمال.

٤- اصحبي أهل العلم، فإنّ من جالس الكبراء رفعوه وعلموه فضائل الأخلاق، والتي منها الحلم والعفو والصفح.

٥- أكثري من ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حتى يمتلأ قلبكِ بالنور، فإذا امتلأ بالنور لم يتسعْ لغيره، فلم يحمل حقداً ولا ضغينة، ولا غل ولا غيرة.

الخاتمة

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ونظرًا لأنها تعتبر جهاد للنفس في العفو والصفح على الناس عند المقدرة؛ فإنها من الأمور التي يثاب عليها المسلم والتي أوصانا بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

إن العافين لهم أجر عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو وعدٌ عظيم يجدونه في الآخرة يوم يفرح بها العافون، في الوقت الذي هم فيه بأمس الحاجة لعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

واعلموا أن الدنيا متاع زائل وأن الآخرة هي دار القرار، المسلم يكظم الغيظَ لله، يُريد ما عند الله، يُغضبه إنسانٌ ويُؤذيه فيكظم الغيظَ يرجو ما عند الله، يعفو عنه يرجو عفو الله.

فما شرع الله العفو إلا وفيه الخير الكثير للفرد وللأمة وللمجتمع، العافي مرتاح البال في الدنيا، ثوابه عظيم في الآخرة، والدنيا دنيا زائلة، وأيامها معدودة، نعم قد يكون العفو ثقيل لكن إذا نُظر إلى أجره وما أعد الله للعافي من الأجر يسهل عليه الأمر طمعاً فيما عند الله، فالعفو عن الناس سبيل المحسنين.

فربُّوا نفوسكم على العفو والصفح الجميل، وروِّضوها على التسامح، وعوِّدوها على الرحمة، وتذكَّروا أن هذا من صفات أهل الجنة؛ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»[1].

اللهم كما حسنت خلْقَنا فحسِّن أخلاقنا، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهمَّ اهدنا لما تُحبُّ وترضى، وزيِّنا بزينة الإيمان

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٥).

والتَّقوى، واجعلنا هداةً مُهتَدِينَ غير ضالينَ ولا مُضلين، وجعلنا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ونسألك يا ربنا عفوك وكرمك وأن تلهمنا رشدنا وتعيذنا من شرور أنفسنا، اللهم اعفو عنا جميعا وعاملنا بفضلك وعفوك وإحسانك.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

